JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ
العدد الخامس عشر
(٢٣٥) –(٢٦٠)

ألفاظ التَّضادّ في القرآن الكريم عند أهل اللُغة وأهل التفسير:

أ.م. غازي مطشر حمزة البدري
المدرية العامة لتربية واسط
qqwwee123ee32@gmail.com

المستخلص :

الأضداد مصطلح أطلقه أهل اللُغة العرب على الكلمات التي تؤدّي إلى معنيين متضادّين بلفظ واحد. وكلمة أضداد في اللُغة جمع ضد وهو النقيض والمقابل، فهو كل شيء ضاد شيئًا ليغلبه فالموت ضدُّ الحياة والليل ضدُّ النَّهار، والسواد ضدُّ البياض.

وقد استعمل العرب هذه الألفاظ في لغتهم وأطلقوا على الشيئين المتضادين اسما واحدا نحو: الجون للأسود والأبيض، ولكن هذا الضرب من الألفاظ هو القليل الظريف في كلام العرب.

وتعتبر تقسيمات سيبويه للكلمة العربية أوَّل إشارة إلى الأضداد في اللُغة فهو يرى أن في كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد واتّفاق اللفظين واختلاف المعنيين.

ولغتنا العربية لا تنفرد بهذه الظاهرة بل تشاركها في هذا المجال أغلب اللغات الإنسانية المتطورة.

ومن طريق رحلتنا مع هذه الدراسة اتَّضح لنا بجلاء أن كثيرا من ألفاظ التضاد في القرآن الكريم يمكن تأويله على وجه آخر يخرجه من باب التضاد، وأنه ليس هناك تفسير واحد في القرآن يصدق على الأضداد جميعا. فقد يكون سبب اعتبار أهل اللُغة بعض الألفاظ في القرآن من التضاد اختلاف القراءات، أو اختلاف اللهجات، أو أن يكون سياق الآية أو دلالتها متعارضا مع المعنى المعروف للفظة وتتفق مع مضادها فيذكره أهل اللُغة ليتناسب مع مضمون الآية، أو أن اشتقاقات اللفظة قد تؤدي إلى معانٍ مضادة.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

وقصارى القول نلاحظ أنّ أهل التفسير غالبا ما يذكرون المعنى المعروف للفظة ويفسرون الآية على ضوء هذا المعنى ونادرا ما يلجأون إلى ذكر معناها المضادّ الذي تأوله المتأولون من أهل اللغة تعسفا واعتبروا هذه الألفاظ من الأضداد.

الكلمات المفتاحية: الأضداد، اللغويات السامية، أهل التفسير.

Antonymy in the Holy Quran from a Linguistic and Exegetic Perspective

Dr. Ghazi Mutashar Hamza Al-Badri
Wasit Directorate General of Wasit
qqwwee123ee32@gmail.com

Abstract :

Antonymy is an opposition-based relation where two words suggest opposite meanings or references. Arab traditional grammarians have long been interested in semantic and sense-related relations in Standard Arabic. Drawing on a Quran-informed traditional linguistic perspective, this paper analyzes antonymy as presented in selected Quranic verses following a centuries-long Arabic linguistic scholarship of grammar and meaning. Many expressions and references in the Quran have a twofold meaning. To highlight this issue, this paper elaborates on the meaning differentiation of certain antonymic expressions as manifested in selected Quranic verses. To achieve this aim, the paper reviews and survey several traditional Arabic linguists' views on antonyms and how these views have shaped our understanding of present-day semantic relations. Standard Arabic scholarships in meaning have been widely investigated by both grammarians and exegetists. Such linguistic-religious correlation has caused a remarkable in certain Quranic interpretations. This paper, therefore, contributes to the interpretation of opposite meanings but from a religious perspective where antonyms are realized through several Quranic exegeses.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

Keywords: Antonymy , Sense Relations ,Semitic linguistics.

المقدمة :

التضادّ ظاهرة كونية وسمة من سمات الحياة وهذه الظاهرة انعكست عند بعض أهل التفسير، بعد أن شاعت عند أهل اللُغة، لذلك كانت دراستها ضرورة علميّة لمعرفة وجودها من عدمه في النص القرآني، وحدود تكونها داخل النص القرآني ودرجة وجودها فيه وأثرها في تحقيق المعنى والفكرة المراد إيصالها للمتلقي ومن ثُمَّ أثرها في خلق النص ودلالاته.

وقد وقع اختياري على(ألفاظ التضادّ في القرآن الكريم عند أهل اللُغة وأهل التفسير)، عنواناً لدراستي ووزعتها بعد المقدمة على تمهيد وقسمين درست في التمهيد(الضدّ في اللُغة والاصطلاح). أما القسم الأول فقد خصصته لدراسة موقف أهل اللُغة من الأضداد، والقسم الثاني خصصته لدراسة(الأضداد في القرآن الكريم عند أهل اللُغة وأهل التفسير)، وختمت هذه الدراسة بما توصلت إليه من نتائج.

لقد سعيت وبذلت جهدي كلّه في سبيل دراسة موضوعي هذا وتتبعته عند أهل اللُغة وأهل التفسير ، فإن أصبت فذلك من الله جلَّ وعلا، وإن قصرت فإن الكمال لله وحده.

التمهيد:

الضدُّ في اللُغة والاصطلاح:

الأضداد مصطلح أطلقه أهل اللُغة العرب على الكلمات التي تؤدّي إلى معنيين متضادّين بلفظ واحد. وكلمة أضداد في اللُغة جمع ضدّ وهو النقيض والمقابل، فهو كل شيء ضادّ شيئًا ليغلبه" فالسوَاد ضدُّ البياض، والموت ضدُّ الحياة والليل ضدُّ النَّهار"(ابن منظور، د.ت:٣/٢٢٣ ضد).

وقد استعمل العرب هذه الألفاظ في لغتهم وأطلقوا على الشيئين المتضادين اسما واحدا نحو: الجون للأسود والأبيض، ولكن هذا الضرب من الألفاظ هو القليل الظريف في كلام العرب(قطرب،١٩٣٢م:٢٤٤، وابن الأنباري،١٩٦٠م:٦).

وقد وجدنا أن أولى المدونات الواردة لنا التي تذكر التضاد في قول الخليل(ت١٧٥هـ):" الضد كل شيء ضاد شيء ليغلبه، والسواد ضد البياض، والموت ضد الحياة، تقول: هذا ضده وضديده،

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

والليل ضد النهار؛ إذا جاء هذا ذهب ذاك ويجمع على الأضداد(العين: الفراهيدي،١٤١٤هـ :١٠٣٦/٢)، وتعتبر تقسيمات سيبويه(ت١٨٠ هـ) للكلمة العربية أوَّل إشارة بعد كلام الخليل إلى الأضداد في اللُغة حيث قال:" إن في كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد واتّفاق اللفظين واختلاف المعنيين"(سيبويه،١٩٦٨م:١/٧-٨).

وجاء بعد سيبويه من ذكروا عن الأضداد شيئًا ونقلوا رأي سيبويه في مصنفاتهم اللُغوية مضيفين إليه كابن فارس(ت٣٩٥هـ) والسيوطي(ت٩١١هـ)(ينظر: ابن فارس،١٩١٠م:٩٦، والمزهر: السيوطي، د.ت:٣٣٦/١)، أو مفصلين فيه شارحين له كقطرب(ت٢٠٦هـ)؛ إذ بسط في مقدمة كتابه(الأضدا د) تقسيم أستاذه سيبويه كقوله في القسم الثالث الخاص بالمشترك في اللفظ:" والوجه الثالث أن يتّفق اللفظ ويختلف المعنى فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعدًا... ومن هذا اللفظ الواحد الذي يجيء على معنيين قصاعدا ما يكون متضادًا في الشيء وضدَّه"(قطرب،١٩٣٢م:٢٤٣-٢٤٤).

وممن ألّف في الأضداد بعد قُطرب الأصمعي(ت٢١٦هـ) وابن السكّيت(ت٢٤٤هـ)، والسجستاني(ت٢٤٨هـ)، والتوزي(ت٢٨٦هـ)(السيوطي، د.ت:٣٩٧/١، وهفنر،١٩١٣م:٢)، وهؤلاء هم أهل اللُغة السابقون الذين عرفوا بجهودهم اللُغوية المهمة الأولى التي اعتمد عليها من جاء من بعدهم من علماء القرون المتعاقبة الذين كانت مشكلة الأضداد من الموضوعات اللُغوية الأولى التي امتلأت بها كتبهم، ومن هؤلاء ابن الأنباري(ت٣٢٨هـ)(السيوطي، د.ت:٣٩٧/١) الذي ذكر في كتابه ما يزيد على ثلاث مائة من الكلمات التي تحمل معنى التَضاد في رأيه. وقد يبدو هذا العدد كبيرا إلّا أن أكثرها يرد بيسر وسهولة إلى ضرب من المشترك اللفظي الذي. وقد لاحظ السيوطي ذلك حين افتتح باب معرفة الأضداد بقوله:" هو نوع من المشترك"(السيوطي، د.ت:٣٩٧/١).

وقد عرَّف ابن الأنباري التَضاد بقوله:" الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة، فيكون الحرف منها مؤديا على معنيين"(ابن الأنباري،١٩٦٠م:١)، وجاء بعده أبو الطيب اللُغوي(٣٥١ هـ) الذي عرَّف الأضداد بقوله:" الأضداد جمع ضد، وضد كل شيء ما نافاه، نحو البياض والسواد، والسخاء والبخل، والشجاعة والجبن، وليس كل ما خالف الشيء ضدًا له، ألا ترى أن القوَّة والجهل مختلفان وليسا ضدين، وإنما ضد القوة الضعف وضد الجهل العلم، فالاختلاف أعم من التَضاد إذ كان كل متضادين مختلفين، وليس كل مختلفين ضدين"(اللُغوي،١٩٦٣م:١/١).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

ويعتبر هذا التعريف أدَّق تعريف للأضداد؛ لأنّ أبا الطيب فَرَّقَ بين ظاهرتي الاختلاف والتضادّ، فالتَّضادّ أخص من الاختلاف في المعنى العام، وقد حذا حذوه المتأخرون والمحدثون في تعريفاتهم للأضداد كابن الدهَّان(ت٥٢١هـ)، والصغاني(ت٦٥٠هـ).

وقد أحصى محمد حسين آل ياسين واحدا وثلاثين كتابا في الأضداد(الأضداد في اللُّغة: آل ياسين١٩٧٤م،:١/٣٨٥).

ومن هذا الفهم لفكرة التَّضادّ تتحدد دراسة الأضداد والوقوف على حقيقة وجودها في اللُّغة فإذا أخذنا بهذا التحديد الدقيق لفكرة التَّضادّ وحاولنا تطبيقه على ألفاظ الأضداد في القرآن الكريم لتضاءل عدد هذه الألفاظ حتَّى لا يبقى منها إلّا الشيء اليسير. ومن هذا المنطلق ستكون دراستنا لألفاظ التَّضادّ الواردة في الآيات الكريمات.

ومن الجدير بالذكر أنِ نشير إلى منْ كتب في التَّضادّ في العربيّة من المستشرقين وأشهرهم" ردسلوب" الألماني الذي ألّف رسالة في هذا الموضوع ونشرها عام ١٨٧٣م في غوتنغن عنوانها" الأضداد في العربية" والمستشرق" F.Giese " الذي كتب في الأضداد بحثًا جمع فيه ما ورد من ألفاظ التَّضادّ في شعر ما قبل الإسلام وعنوان كتابه" دراسات في الأضداد على أساس ما ورد منها في الشعر العربي القديم"(ينظر: كمال،١٩٧٥م :١٩)، وكذلك المستشرق" نولدكه" في كتابه الأضداد"(بكر،١٩٧١م :٢/١٠٩).

ولغتنا العربيّة لا تنفرد بهذه الظاهرة بل تشاركها في هذا المجال أغلب اللُّغات الإنسانيّة المتطورة(ينظر: أولمان،١٩٧٥م:١١٨، وبكر،١٩٧١م:٢/١٢٠، ١٣١).

القسم الأول: موقف أهلِ اللُّغة من الأضداد:

نستطيع أن نحدد رواية الأضداد بعصر أبي عمرو بن العلاء(ت١٥٤هـ)، والخليل، ويونس(ت١٨٢هـ)، والكسائي(ت١٨٩هـ)، والشيباني(ت٢٠٦هـ)، وأبي زيد(ت٢١٥هـ) لورود ذكرهم جميعا في كتب الأضداد راوين بعضا من ألفاظها"(آل ياسين،١٩٨٠م:٤١٨)، وكانت قلّة الأضداد وظرافتها كما يعبرِ عنها قُطرب(قُطرب،١٩٣٢م:٢٤٤) هما الدافع الذي دفع أهل اللُّغة الأوائل إلى جمعها وتدوينها، ثمَّ تكاثر عدد الأضداد في كتب اللُّغة واعتبر أهل اللُّغة المئات منها بعد أن كانت مفردات قليلة فانقسم النقاد وأهل اللُّغة وأهل البلاغة العرب إزاء هذه الألفاظ الكثيرة على فريقين: فريق

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

أنكر وجودها كثعلب(ت٢٩١هـ) نقلاً عن الجواليقي(ت٤٣٩هـ) بقوله:" ليس في كلام العرب ضد... لأنّه لو كان فيه ضد لكان الكلام محالاً؛ لأنّه لا يكون الأبيض أسود ولا الأسود أبيض... وكلام العرب وإن اختلف اللفظ فالمعنى يرجع إلى أصل واحد"(الجواليقي،١٣٥٠:١٧٧)، وابن درستويه(ت٣٤٧هـ) في قوله:" ليس إدخال الالباس في الكلام من الحكمة والصواب، وواضع اللُغة- عزَّ وجلَّ- حكيم عليم. وإنّما اللُغة موضوعة للإبانة عن المعاني فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، أو أحدهما ضد الآخر، لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية"(السيوطي، د.ت:١/٣٩٦).

ويعتبر ابن درستويه الأشهر في إنكارِ وجود الأضداد في اللُغة وتذكر الكتب القديمة أنّه ألّف كتابا في ذلك أسماه(إبطال الأضداد) ولكنه لم يصل إلينا(ينظر: الأشبيلي،١٩٧١م :٩٤)؛ إذ ذهب إلى جحد الأضداد جميعها هو ومن لفَّ لفه؛ لأنّ العرب لا يأتون باسم واحد للشيء وضدَّه وحاولوا تأويل ما ورد من الأضداد في كلام العرب.

أما الفريق الثاني: فهم المدافعون عن وجود الأضداد فيعزون سبب وجودها لأسباب عديدة منها: الاتساع في كلام العرب ومنهم قطرب في قوله:" إنما أوقعت العرب اللفظتين على المعنى الواحد ليدلوا على اتساعهم في كلامهم، كما زاحفوا في أجزاء الشعر، ليدلوا على أن الكلام واسع عندهم، وأن مذاهبه لا تضيق عليهم عند الخطابة والإطالة والإطناب"(قطرب،١٩٣٢م:٢٤٣).

وممن عارض رأي ابن درستويه وجماعته أحمد بن فارس الذي أثبت وجود الأضداد ورد على مذهب ابن درستويه وجماعته بقوله:" وأنكر ناس هذا المذهب وأنَّ العرب تأتي باسم واحد لشيء وضدَّه. وهذا ليس بشيء وذاك أنّ الذين رووا أنّ العرب تسمي السيف مهنداً، والفرس طرفاً هم الذين رووا أنّ العرب تسمي المتضادين باسم واحد"(ابن فارس،١٩١٠م:٩٨).

أما الفريق الثالث فيمثله ابن الأنباري الذي لم يقف مدافعا عن الأضداد بل معللاً سبب ورودها في اللُغة فيقول:" إذا وقع الحرف على معنيين متضادين فالأصل لمعنى واحد ثمَّ تداخل الاثنان على جهة الاتّساع"(ابن الأنباري،١٩٦٠م:٨)، غير أنه في بعض الأحيان كان رده عنيفا على منكري الأضدادَ وحججهم؛ إذ يقول:" ويظن أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب، أن ذلك كان لنقصان حكمتهم، وقلّة بلاغتهم، وكثرة الالتباس في محاوراتهم، وعند اتصال مخاطباتهم، فيسألون عن ذلك،

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

ويحتجون بأنّ الاسم منبئ عن المعنى الذي تحته ودال عليه، وموضح تأويله، فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد المخاطب، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمى"(ابن الأنباري،١٩٦٠م:٧)، ولابن سيده(ت٤٥٨ هـ) رأي يشابه رأي ابن الأنباري هذا؛ إذ يقول" ينبغي أن لا يكون قصدا في الوضع ولا أصلاً ولكنه من لغات تداخلت أو تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتغلب فتصير بمنزلة الأصل"(ابن سيده، د.ت:٤/٢٥٩)، ويوافق هذا الرأي أيضا المحققون من علماء العربية الذين ينكرون الأضداد ويدفعونها ويتأولون لها سببا لورودها في اللغة؛ لأنّه" ليس في كلام العرب ضدّ؛ لأنه لو كان فيه ضد لكان الكلام محالاً لأنه لا يكون الأبيض أسود ولا الأسود أبيض وكلام العرب وإن اختلف اللفظ فالمعنى يرجع إلى أصل واحد"(الجواليقي،١٣٥٠هـ:٢٥١).

وللمستشرقين أيضا رأي يوافق هذا الرأي في سبب نشأة الأضداد في اللغة فنرى أنّ" فايل" يذكر رأيه بقوله:" إن الرأي السائد في علم اللغات العام هو أنّه لا يمكن تفسير الأضداد على أساس مبدأ واحد فللكلمات في أصول وضعها معنى ثابت ولهذا يجب في حالة كل ضد أن نعتبر أحد المعنيين أصليًا وآخر فرعيًا ومهمة علم اللغات العام تتبع التطور التدريجي للمعنى في كل حالة"(بكر:٢/١٢٩-١٣٠)، ويعترف" فايل" أنّ أهل اللغة العرب أقروا بهذا المبدأ قبله فيقول:" والواقع أن علماء اللّغة العرب سلّموا من قبل بهذا المبدأ: أن الأصل لمعنى واحد"(بكر،١٩٧١م:٢/١٢٩-١٣٠). فنظرة ابن الأنباري إلى الأضداد تتفق والرأي السائد الآن بين المشتغلين بعلم اللّغة العام في أن تضاد المعنيين للفظ الواحد لا يرجع إلى أصل الوضع ولكنّه نتيجة تطوّر في الاستعمال.

وقد ذكر ابنِ الأنباري سببا آخر لنشأة الأضداد في اللغة وهو ما يمكن أن يسببه اختلاف اللهجات من تضاد في الألفاظ فقال:" إذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربي أوقعه عليها بمساواة منه بينهما ولكن أحد المعنيين لحيٍ من العرب والمعنى الآخر لحيٍ غيره ثُمَّ سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء، وهؤلاء عن هؤلاء قالوا: فالجون الأبيض في لغة حيٍ من العرب، والجون الأسود في لغة حيٍ آخر ثُمَّ أخذ أحد الفريقين من الآخر" (ابن الأنباري،١٩٦٠م:١١-١٢).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

وقد اشترط السيوطي في التضادّ أن تكون الألفاظ المتضادّة في لغة واحدة فقط؛ إذ يقول:" إنّ شرط الأضداد أن يكون استعمال اللفظ في المعنيين في لغة واحدة"(السيوطي، د.ت:١/٣٩٦).

ولكن أهم ما جاء به ابن الأنباري هو ردَّه على الذين طعنوا على العرب قولهم لهذه الألفاظ وعدوا وجودها في العربية دليل عيب في اللغة؛ لأنّها تورث اللبس في الكلام فيسميهم ابن الأنباري"أهل البدع والزيغ والأرزاء بالعرب"، وقد ردَّ عليهم بقوله:" إن كلام العرب يصحح بعضه بعضا ويرتبط أوله بآخره ولا يعرف معنى الخطاب منه إلّا باستيفائه واستكمال جميع حروفه فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادّين؛ لأنّها يتقدَّمها يأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ولا يراد بها حال التكلم والإخبار إلّا في معنى واحد. فمن ذلك قول الشاعر:

كلُّ شيء ما خلا الموت جلل والفتى يسعى ويلهيه الأمل

فدل ما تقدَّم قبلً" جلل" وتأخر بعده على أنّ معناه كل شيء ما خلا الموت يسير ولا يتوهم ذو عقل وتمييز أن الجلل ها هنا معناه عظيم"(ابن الأنباري،١٩٦٠م:١-٢). فهو يفسر لنا أن سياق اللفظة وقرائن الكلام تدل على المعنى المحدَّد من اللفظة بحيث لا يمكن أن تدل اللفظة على الشيء وضدَّه في الوقت نفسه بحيث تدعو إلى اللبس في الكلام.

وقد ذكر بعض العلماء الغربيين رأيا مشابها لرأي ابن الأنباري في أنّ بمقدور المتكلم أن يحدّد معنى الكلمة بحيث لا ينصرف الذهن إلى معناها المضاد فنرى أن ستيفن أولمان ذكر مثلاً أن الكلمَة اللاتينية(autts) قد يكون معناها مرتفع أو منخفض وهذا مرجعه إلى الإدراك النسبي للمدى، وهو إدراك تتحكم فيه وجهة نظر المتكلم(ينظر: أولمان،١٩٧٥م:١١٨).

إن الأضداد مظهر من مظاهر تطوُّر دلالات الألفاظ في اللّغات عامة ومنها لغتنا العربية. فوجود الأضداد في العربية ليس مطعنا فيها كما يزعم الشعوبيون وإنّما مظهر من مظاهر تطورها المستمر(ينظر: بكر،١٩٧١م:٢/١٣٢)، فهذا ردٌّ آخر عليهم يضاف إلى ردّ ابن الأنباري.

ولكن مهما حاول أهل اللغة سواء منهم من أنكر الأضداد كُلّيًا أو منَ حاول ردَّها إلى أسبابها فإنّنا نجد أنفسنا طوعا أو كرها أمام كلمات حفظ لنا فيها التعاكس فمهما نحاول أن نردَّ تطوراتها المعنوية إلى أصولها الوضعية البدائية فلن نستطيع أن نقاوم قانون الصراع اللغوي الذي إنّما يحفظ

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

المعاني المتماثلة أو المتناظرة أو المتقابلة بوحي من الظروف الاجتماعية المحيطة بكل أُمة(ينظر: الصالح،١٩٧٣م:٣٠٩).

القسم الثاني: الأضداد في القرآن الكريم عند أهل اللُغة وأهل التفسير:

حينما نستعرض مواد الأضداد التي ذكرها الأقدمون نجد أن قسما كبيرا منها جاء في الاستعمال القرآني، وقد حفلت كتبهم بآيات قرآنية استشهدوا على بعضها بالبعض الآخر. وقد اقترن استشهاد أهل اللُغة بالآيات القرآنية باستشهادهم بالأبيات الشعرية. فالرغبة في خدمة كتاب الله كانت الدافع الأساس عند أوائل أهل اللُغة لوضع كتبهم حينما وجدوا أن من ألفاظ القرآن الكريم يفسر بأكثر من معنى يوهم بتضادها. فالعلماء حين شغلوا بدراسة أسلوب القرآن الكريم اعترضتهم ألفاظ قد يفهم من تكرارها في مناسبات مختلفة في كتاب الله أنها متضادَّة أو ما يشبه المتضادَّة وكذلك فعل مفسرو القرآن الكريم حين اعترضتهم مثل هذه الألفاظ فلجأوا إلى أهل اللُغة ملتمسين تفسيرا معقولا لها في كلام العرب وفي أقوال أهل اللُغة، وإن لم يجدوا ما يقنعهم فسَّروها تفسيرا ينسجم مع سياق الآية غير آبهين بقول أهل اللُغة بتضاد اللفظة- كما سنرى من طريق الأمثلة- أو أن يفسروا اللفظة استنادا إلى ما سمعوه من الرواة إلى أن يصلوا إلى صاحب النص الذي أما أن يكون صحابيًّا أو تابعيًّا.

وأبرز من مثّل هذا المنهج الطبري(ت٣١٠هـ)(ينظر: القزويني، د.ت:٢/١٦٦، والحموي، د.ت:١٨/٤٠) فهو يعتبر المرجع الأول عند أهل التفسير الذين عنوا بالتفسير النقلي(ينظر: الذهبي،١٩٧٦م:١/٢٠٧). وقد نال هذا التفسير ثناء العلماء في كل عصر ومصر حتى وصفوه" بأنه لم يصنف أحد مثله"(الحموي، د.ت:١٨/٤٠). وقد جمع الطبري في هذا التفسير لأول مرَّة المادة الوافرة للتفاسير المأثورة واستحدث بذلك كتابا عمدة استقت منه التفاسير التي كتبت من بعده(دائرة المعارف الإسلامية، د.ت:١٥/٦٨). وما يزال هذا المصنف معينا يستمد منه العلماء المعلومات في بحوثهم اللّغوية والتاريخية والنقدية حتّى المستشرقين منهم

وسنتناول في دراستنا هذه الألفاظ التي تفسر على معنى التضاد في الآيات القرآنية الكريمة ونقارن بين ما قاله أهل اللُغة عن هذه الألفاظ وبين ما قاله الطبري وبعض أهل التفسير كالزمخشري وآخرين ليتضح وجه الموازنة الذي يكون موافقا للغويين أحيانا وبعيدا عنهم أحيانا أخرى. ولكثرة هذه

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

الألفاظ التي تزيد على المائة لا يتسع مثل هذا البحث لاحتوائها جميعا؛ لذلك سننتقي منها المجموعة المشهورة والمتداولة في كتب اللغة والتفسير علىأنّها من الأضداد الواردة في كتاب الله.

أخفى: قال أهل اللغة: إنه يعني أظهر ويعني ستر(ينظر: اللغوي،١٩٦٣م:٢٣٧/١، وابن منظور، د.ت:٢٣٤/١٤ خفى)، وذلك لاختلافهم في قراءة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾(طه:١٥)، فقد قرأ سعيد بن جبير وأبو الدرداء بفتح الهمزة، وقرأ أُبي وسائر القراء بالضمِ(ينظر: الفرّاء، د.ت:١٧٦/٢) . والأكثر في معنى الكتمان أخفيته أُخفيه إخفاء، وفي معنى الإظهار خفيته أخفيه خفيا(ينظر: اللغوي،١٩٦٣م:٢٣٧/١، وابن منظور، د.ت:٢٣٤/١٤: خفى). فمن قرأ بالفتح فذلك معروف في معنى أظهرها(ينظر: اللغوي ،١٩٦٣م:٢٣٧/١)، ومن قرأ بالضمِ فبمعنى أكاد أُخفيها في نفسي لئلا يطلع عليها أحد(ينظر: الطبري،١٩٧٢م:١١٣/١٦).

ويذكر الطبري أن للإخفاء في كلام العرب وجهين أحدهما الإظهار والآخر الكتمان، ولكنَّه وجَّه معنى(أُخفيها) بضمِ الألف إلى معنى أسترها في نفسي لأن المعروف في معنى الإخفاء في كلام العرب الستر(ينظر: الطبري،١٩٧٢م:١١٣/١٦).

أما جار الله الزمخشري فيرى أن(أكاد أخفيها) تحتمل المعنيين(ينظر: الزمخشري، د.ت:٥٣٢/٢)؛ لأن من قرأها بالضم فعلى معنى: أكاد أُخفيها من نفسي، ومن قرأها بالفتح فعلى معنى: قرب إظهارها.

ومن المعاصرين(ينظر: كمال،١٩٧٥م:١٥) من سلّم بضدية اللفظة معللاً أن فعل المقاربة(كاد) يجعل معنى الفعل قريبا من الكتمان وقريبا من الإظهار فمن قال بالمعنيين لم يحد عن الصواب. وربَّما كان هذا ما يدور في ذهن الزمخشري عندما جعل الآية تحتمل كلا المعنيين.

ونلحظ أن اختلاف القراءتين في اللفظة القرآنية(أخفيها) جعل لكل قراءة معنى مخالفا للقراءة الأخرى، واختلاف القراءتين في لفظة واحدة لا يجعل منها ضدًّا؛ لأنها ليست كذلك في كل قراءة على حدة. وقد ألصق أهل اللغة الضدية بهذه الألفاظ لإغفالهم اختلاف القراءات في القرآن لذا فهي تخرج من حظيرة الأضداد.

إذ وإذا: ويجيئان لما يستقبل(ينظر: اللغوي،١٩٦٣م :٢٧/١). وجعلت إذ في الآيات الكريمة:﴿وإِذْ قَالَ اللَّهُ يا عِيسى ابن مريم أَأَنت قُلْت للنَّاسِ﴾ (المائدة:١١٠)، وقوله تعالى:﴿ ولَو ترى إِذْ وقِفُوا علَى

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(الأنعام:٢٧) لما يكون يوم القيامة، واستشهد بقول الراجز:

ثُمَّ جزاه الله عنَّا إذ جزى جنات عدنٍ في العلالي العلا

(اللغوي،١٩٦٣م:٢٧/١). وقد ذكر الطبري أن العرب قد تضع(إذ) مكان(إذا) و(إذا) مكان(إذ) وإن كان حظّ(إذ) أن تصاحب من الأخبار ما قد وجد فقضى وحظّ(إذا) أن تصاحب من الأخبار ما لم يوجد ثُمَّ يستشهد ببيت الراجز كما فعل أبو الطيب اللغوي(ينظر: الطبري،١٩٧٢م :١١١/٧). ونراه في موضع آخر يشير إلى استعمال(إذ) في موضع الاستقبال غير فاش وغير فصيح في كلام العرب وأن معنى الآية" ﴿ وإذْ قال اللّه يا عيسى ابن مريم أأنت قُلْت للنَّاس﴾ خبر عما مضى؛ لأن إذ إنما تصاحب في الأغلب من كلام العرب المستعمل بينها الماضي من الفعل(ينظر: الطبري،١٩٧٢م:٨٩/٧).

وعلى هذا التفسير فإن إذ لا تتحمل معنى مضاد لمعناها المعروف وأن إلصاق الضدية بهذه الأدوات من تعسف أهل اللغة ومغالاتهم وإلّا فلماذا نذهب بعيداً في تأويل الآية ولِم لا نأخذ بتفسيرها كما وردت وكما هو المعروف المشهور في كلام العرب.

أسررت: قال أهل اللغة يكون بمعنى كتمت وهو الغالب على الحرف. ويكون بمعنى أظهرت قال تعالى: ﴿ وأَسرُّواْ ٱلنَّجوى ٱلَّذين ظَلَموا ﴾(الأنبياء:٣) يعني أسرُّوا ها هنا كتموا. وقال تبارك وتعالى في غير هذا الموضع ﴿ وأَسرُّوا النَّدامة لَمَّا رأَوا الْعذَاب﴾(يونس:٥٤)، فقال الفرَّاء والمفسرون : معناه كتم الرُّؤساء النَّدامة من السَّفلة الَّذين أَضلُّوهم(ينظر: ابن الأنباري،١٩٦٠م:٤٥، واللغوي،١٩٦٣م:٣٥٣/١). ولو استقرأنا هذا الفعل في القرآن الكريم لرأينا أنه مستعمل في جميع الآيات بمعنى الكتمان والإخفاء(ينظر: عبد الباقي، د.ت:٣٤٨: أسر). وهذا المعنى هو الذي ذهب إليه الطبري حين فسَّر الآية بقوله:" وقوله: ﴿ وأَسرُّوا النَّدامة لَمَّا رأَوا الْعذَاب﴾ يقول: وأخفت رؤساء هؤلاء المشركين من وضعائهم وسفلتهم الندامة حين أبصروا عذاب الله قد أحاط بهم وأيقنوا أنه واقع بهم"(الطبري،١٩٧٢م:٨٦/١١). ولم يذكر الطبري أن لهذه اللفظة معنى مضادًا وإنما ذكر أن معناها الإخفاء كما فعل أهل اللغة، في حين نرى أن أبا عبيدة قد جعل اللفظة من الأضداد وفسر الآية الكريمة بمعنى الإظهار، فقال:" وأسرُّوا من حروف الأضداد، أي أظهروا"(أبو عبيدة،

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

د.ت:٢/٣٤). ومن أهل التفسير الذين وافقوا أبا عبيدة والزمخشري والرازي فهم حين فسَّروا الآية أشاروا إلى المعنى المضاد وهو الإظهار كما أشاروا إلى المعنى المعروف وهو الإخفاء فنرى الرازي مثلاً يقول:" إنما أخفوا الندامة على الكفر والفسق في الدنيا لأجل حفظ الرياسة، وفي القيامة بطل هذا الغرض فوجب الإظهار"(الرازي، د.ت:١٧/١١٢، وينظر: السامرائي،١٩٨١م :١٠٣)، وعلى هذا التفسير يبقى الفعل في القرآن الكريم محتفظاً بمعناه الأصلي وهو الإخفاء.

أما الزمخشري(ت٥٣٨ هـ) فقد ذكر معنى الإظهار حينما ذكر قولهم:" أسرَّ الشيء وأشرَّه"(الزمخشري، د.ت:٢/٢٤١). ويرى الطبرسي(ت٥٤٨هـ) أن" ما يكون بمعنى الإظهار يكون بالشين المنقطة من فوق"(الطبرسي، د.ت:٥/١١٦). وذكر أبو الطيب اللغوي أيضا أن الأشرار بالشين المعجمة ليس معناه إلّا الإظهار والإعلان(ينظر: اللغوي،١٩٦٣م:١/٣٥٥-٣٥٦).

ويبدو أن تشابه الفعل(أَسرَّ) الذي يكون بمعنى(كتم) و(أَشرَّ) الذي لا يكون إلّا بمعنى بمعنى أظهر وأعلن ثُمَّ حصول الإبدال في الفعل(أَسرَّ) هو الذي أدَّى باللغويين إلى اعتبار هذا الفعل من الأضداد. وقد ذكر بعض الباحثين بأن في كلمة(أَسرَّ) بالسين إبدالاً بين السين والشين فالأشرار هو الإظهار ثُمَّ تعرَّضت هذه المادة إلى الإبدال فجاءت بالسين(ينظر: السامرائي،١٩٨١م:١٠٣).

وقديما رد أبو جعفر الطوسي(ت٤٦٠هـ) على من ذهب إلى أن معنى(أَسرَّ): أظهر بقوله:" هذا غلط؛ لأن لفظة الإخفاء هي المشتركة دون لفظ الأسرار فجعل أحدهما على الآخر قياس اللغة"(الطوسي،٢٩٦٨م:٨/٣٦٣).

وذهب بعض الباحثين إلى أن الذين ذهبوا إلى احتمال المعنى الثاني وهو الإظهار إنما استفادوا من ملاحظ خارجية لا علاقة لكثير منها بالفعل في دلالته الفردية أو السياقية(ينظر: الزيدي،١٩٨٧:١٥٨).

اشترى: تطلق للبيع وللشراء(ينظر: اللغوي،١٩٦٣م:١/٣٩٢، وابن الأنباري،١٩٦٠م:٧٢، والجواليقي،١٣٥٠م :٢٥٣، والزمخشري، د.ت:١/٥٤٢، وابن منظور، د.ت:١٤/٤٢٨: شري)، فيقال: اشتريت الشيء على معنى قبضته وأعطيت ثمنه وهو المعنى المعروف عند الناس. ويقال: اشتريته إذا بعته، قال عزَّ وجلَّ:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ (البقرة:١٦).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

وذكر أهل اللغة أنّ البيع هو المعنى المضادّ للشراء يتّضح في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾(النساء:٧٤)، أي يبيعون، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ (البقرة:٢٠٧)، أي يبيعها، وقوله تعالى:﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ (يوسف:١٩)، أي باعوه(ينظر: اللغوي،١٩٦٣م:٣٩٢/١، وابن الأنباري،١٩٦٠م:٧٢).

وقد رفض بعض القدماء ضدّية هذه اللفظة وأرجع علّة ذلك إلى أنّها أتت من كونها لغات عند العرب، فقال قطرب: شريت في معنى بعت في لغة غاضرة من بني أسد(قطرب،١٩٣٢م :٢٥٥). وذكر ابن الأنباري أقوال بعض أهل التفسير وأقوال بعض أهل اللّغة في هذه اللفظة فأشار إلى أن أهل التفسير قالوا: إنّ معناه باعوا الضلالة بالهدى، وأنّ بعض أهل اللغة قال: كلّ من آثر شيئًا على شيء فالعرب تجعل الإيثار له بمنزلة شراه، واحتجوا بقول الشاعر(ابن الأنباري،١٩٦٠م :٧٢، وينظر: ابن منظور، د.ت:٤٢٨/١٤ شري):

أَخَذْتُ بِالجُمَّةِ رَأْساً أَزْعَرا وبِالثَّنايا الواضِحاتِ الدُّرْدِرا
وبِالطَّويلِ العُمرِ عُمراً أَنْزرا كما اشْتَرى المسلمُ إذْ تَنَصَّرا

ويعتقد الطبري والزمخشري أنّ معنى الشراء الاستبدال؛ لأنّ كلّ مشترٍ شيئًا فإنّما يستبدل مكان الذي يؤخذ منه من البدل آخر بدلًا منه(ينظر: الزمخشري، د.ت:١٩٠/١) فكذلك المنافق والكافر استبدلا بالهدى الضلالة والنفاق فأضلهما الله وسلبهما نور الهدى(ينظر: الطبري،١٩٧٢م:١٠٧/١-١٠٨).

والحقيقة أنّ هذين الفعلين من الكلمات المترادفة وأصل معناهما(المبادلة) وهو معنى عام ينطبق على الشراء والبيع ثمّ تحدّد المعنى مع الزمن لكل من الفعلين فغلب استعمال الشراء في معناه المألوف والبيع في ضد هذا المعنى، ويمكن تفسير الشواهد التي يشم منها أن اشترى بمعنى باع على هذا المعنى العام الأصلي؛ لأن طريقة البيع والشراء عند العرب القدماء كانت تقوم على أساس المقايضة والمبادلة(ينظر: أنيس،١٩٦٥:٢١٣) بحيث يصحُّ إطلاق لفظ المشتري على كلا المتبادلين ثمّ اختصت لفظة البيع عند قبيلة من القبائل بمفهوم البيع واختصت لفظة الشراء عند قبيلة أخرى بمفهوم الشراء.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

الأصفر: يقال للأصفر وللأسود(ينظر: ابن الأنباري،١٩٦٠م:١٦٠، اللغوي،١٩٦٣م:١/٤٢٤). فقالوا في قوله تعالى:﴿ إِنَّها بقرةٌ صفراء فاقعٌ لونها﴾(البقرة:٧٦)، أي سوداء، ولكنَّ أبا الطيب يفسر معنى(صفراء) في هذه الآية بأن المراد بها الصفرة المعروفة لقوله عزَّ وجلَّ:(فاقع لونها) إذ إنَّ الأصفر بمعنى الأسود لم يوصف بفاقع ولكنَّه يجعل الآية: ﴿ كأنَّه جمالةٌ صفر﴾(المرسلات:٣٣) بمعنى سود ويقال: جمل أصفر إذا كان جسده أسود وأذناه ومنخراه وأبطاه وأرفاغه صفر فهذا هو الأصفر من الإبل(ينظر: اللغوي،١٩٦٣م:١/٤٢٤)، ثُمَّ استشهد ببيت الأعشى(ديوان الأعشى، : ٣٣٥، د.ت، واللغوي،١٩٦٣م:١/٤٢٤):

تلك خيلي منه وتلك ركابي هي صفر أولادها كالزبيب

وذهب الطبري والزمخشري إلى أن معنى(صفراء) في الآية الكريمة هو اللون المعروف وأن بيت الأعشى الذي استشهد به المتأولون على إن معنى(صفراء) هو(سوداء) هو مما توصف به الإبل وليس مما توصف به البقر ، ثم إن العرب لا تصف السواد بالفقوع إذا وصفته بالشدَّة بل بالحلوكة، فتقول: أسود حالك، وتقول في الأصفر: أصفر فاقع فوصفه بالفقوع هو الدليل البين على أن معنى(صفراء) في الآية الكريمة هو اللون المعروف(ينظر: الطبري،١٩٧٢م:١/٢٧٣-٢٧٤، والزمخشري، د.ت:١/٢٨٨).

أما الآية:﴿ كأنَّه جمالةٌ صفر﴾(المرسلات:٣٣) فذهب الطبري والزمخشري إلى أن معنى الصفر السُّود؛ لأن الإبل توصف بالسواد، وقيل لها: صفر وهي سود؛ لأن ألوانها سود تضرب إلى الصفرة كما سميت الظباء أدما لما يعلوها في بياضها من الظلمة(ينظر: الطبري،١٩٧٢م:١/٢٧٣-٢٧٤، والزمخشري، د.ت:١/٢٨٨).

ومن الواضح أن المعنيين اللذين تنصرف إليهما لفظتا(صفر)، و(صفراء) ليسا متضادين تضادًّا يجيز اعتبارهما من الأضداد؛ لأن شرط التضاد بين المعنيين أن يكون تامًّا كالذي بين العلم والجهل والموت والحياة والسخاء والبخل وغير ذلك، فلو طبقنا هذا الشرط على اللفظتين المذكورتين آنفا لم نجد فيهما معنى من معاني الضدية فالأصفر ليس ضد الأسود، وإنما ضد الأسود الأبيض، أما الأصفر فليس له مضاد من الألوان المعروفة وإنما كل لون من الألوان شيء مستقل خاص.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

بعد: تجيء بمعنى المتأخر وبمعنى المتقدّم مثل قبل(ينظر: اللغوي،١٩٦٣م:١/٨٣)، ومنه قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾(الأنبياء:١٠٥) قالوا: من قبل الذكر، وقوله تعالى:﴿ والأرض بعد ذلك دحاها﴾(النازعات:٣٠). قالوا: قبل ذلك؛ لأنه جلَّ اسمه خلق الأرض في يومين ثُمَّ قال:﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾(فصلت:١١) فخلق الأرض قبل السماء فلما قال:﴿ بعد ذلك دحاها﴾ كان المعنى قبل ذلك(ينظر: اللغوي،١٩٦٣م:١/٨٣). ويبدو أنّ أهل اللغة حينما فسّروا الآية رأوا أنه لا يمكن تفسيرها من غير جعل(بعد) تعني(قبل) فاعتبروها من الأضداد، في حين نرى بعض أهل التفسير كالطبري مثلاً يفسر معنى(بعد) على المعنى المعروف وأن قوله:(بعد) بمعناه المعروف الذي هو خلاف قبل لا يؤثر في تفسير الآية؛" لأن ليس في دحو الأرض بعد تسويته السموات السبع ما يوجب أن تكون الأرض خلقت بعد خلق السموات؛ لأن الدحو إنما هو البسط في كلام العرب والمد"(الطبري،١٩٧٢م:٣/٢٩). أما قوله تعالى:﴿ ولَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ فقد فسّرها الزمخشري أيضا على المعنى المعروف؛ لأنّ الذكر يقصد به أم الكتاب يعني اللوح(ينظر: الزمخشري، د.ت:٢/٥٨٦)، وبهذين التفسيرين تخرج كلمة(بعد) من قائمة الأضداد.

بين: تكون للفراق وللوصال(ينظر: ابن الأنباري،١٩٦٠م:٧٥، واللغوي،١٩٦٣م:١/٧٧)، فأما الفراق فهو المعنى المعروف الشائع مصدر بان يبين بينا ومنه يقال بينهما بون بعيد أي فراق بعيد. أمَّا الثاني فمن الآية﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾(الأنعام:٩٤) في قراءة من قرأ بضمِ النون؛ إذ لا يمكن أن يكون المعنى تقطّع فراقكم فلا بدَّ أن يكون المعنى وصلكم(ينظر: ثعلب،١٩٤٨م:١/٢٦٣) وهذه هي قراءة حمزة ومجاهد(ينظر: الفرّاء، د.ت:١/٣٤٥) وابن كثير وأبي عمرو وعاصم، وقرأ نافع والكسائي(ينظر: ابن مجاهد، د.ت:٢٦٣)، وحفص(ينظر: ابن الجزري، د.ت:٢/٢٦٠)، وعبد الله بن مسعود بالنصب(ينظر: الفرّاء، د.ت:١/٣٤٥، والزمخشري، د.ت:٢/٣٦-٣٧)، وقد علّق الفرّاء(ت٢٠٧ هـ) على هذه القراءة بقوله:" وهو وجه الكلام"(الفراء، د.ت:١/٣٤٥)، فاللفظة على القراءة المشهورة لا تحتمل تضادًا أو ما يشبه التضاد، ومعناه تقطّع ما بينكم من تواصل كان بينهم في الدنيا، وهذا المعنى ذكره الطبري في تفسيره. ويشير أيضا إلى أن القراءتين- الرفع والنصب- مشهورتان وباتّفاق المعنى وذلك أنّ العرب قد تنصب(بين) في موضع الاسم ،" ذكر سماعا منها

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

أتاني نحوك ودونك وسواءك نصبا في موضع الرفع وقد ذكر عنها سماعا الرفع في(بين) إذا كان الفعل لها وجعلت اسما وينشد بيت المهلهل:

كَأَنَّ رِماحهم أَشْطَان بئرٍ بعيد بين جاليها جرورِ

برفع(بين) إذ كانت اسما"(الطَّبري،١٩٧٢م:٧/١٨٥-١٨٦)، ويلتقي الزمخشري مع الطبري في أن معنى(تقطّع بينكم) أي وقع التقطع بينكم، كما تقول: جمع بين الشيئين، تريد أوقع الجميع بينهما على إسناد الفعل إلى مصدره بهذا التأويل، أما قراءة الرفع فتعني أن الفعل أُسند إلى الظرف كما تقول: قوتل خلفكم وأمامكم(ينظر: الزمخشري، د.ت:٢/٣٦). فنلحظ في تفسير القراءتين أنه لا تضاد فيهما وبذلك تخرج هذه الكلمة من ساحة الأضداد.

الرجاء: اعتبر الأضداديون(آل ياسين،١٩٧٤م:١٠-١١)(الرجاء) من الأضداد، فقالوا: الرجاء يكون طمعا ويكون خوفا، يقال: رجوت كذا وكذا أرجو رجاء، أي طمعت فيه ورجوته أرجوه رجاء أي خفته(ينظر: اللغوي،١٩٦٣م:١/٢٩٠)، والرجاء بمعنى الخوف في القرآن كثير كقوله تعالى:﴿ لا يرجون لقاءنا﴾(يونس:١٥)، وقوله: ﴿ ما لكم لا ترجون لله وقارا ﴾(نوح:١٣)، وقوله:﴿ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ﴾ (الجاثية:١٤)، وقوله:﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾(الكهف:١٤) وفي كلها المعنى يخافون(ينظر: اللغوي،١٩٦٣م:١/٢٩٠).

وقد أرجع الفرّاء سبب كون اللفظة تحتمل معنيين متضادين إلى أنها لغة لتهامة؛ إذ يقول:" وهي لغة تهامية يضعون الرجاء في موضع الخوف إذا كان معه جحد"(الفرّاء، د.ت:٢/٢٦٥)، وقال في تفسير قوله تعالى﴿ وترجون من الله ما لا يرجون﴾ (النساء:١٠٤):" قال بعض أهل التفسير: إن معنى ترجون: تخافون. ولم نجد معنى الخوف يكون رجاء إلا ومعه جحد... ولا يجوز: رجوتك وأنت تريد: خفتك"(الفرّاء، د.ت:١/٢٨٦) فاستعمال الفعل في القرآن بمعنى الخوف جارٍ على لهجة عربية وهو مقيَّد بالجحد فقط فهو إذن في حقيقة وضعه ليس من الأضداد وإنما كل قبيلة استعملت اللفظة بمعنى يغاير المعنى الذي استعملته القبيلة الأخرى وهذا ما ذهب إليه ابن الأنباري في مقدمة كتابه حين ذكر لنا أسباب نشوء الأضداد في اللغة. أما الطبري فلا يشير إلى أن في هذا الفعل تضادًا أو ما يشبه التضاد وإنما فسّر الآية الكريمة بقوله:" وترجون أنتم أيُّها المؤمنون من الله من الثواب على ما ينالكم منهم ما لا يرجون هم على ما ينالهم منكم"(الطبري،١٩٧٢م:٥/١٦٨) ففسّر(ترجو) بالمعنى

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

المعروف وهو الطمع ولم يشر إلى المعنى المضاد وكذلك فعل الزمخشري(ينظر: الزمخشري، د.ت:١/١٦٥).

الصريم: تقال لليل والنهار(ينظر: ابن الأنباري،١٩٦٠م:٨٤، والبغوي،١٩٦٣م:١/٤٢٦، والثعالبي،١٩٧٢م:٣٧٢، والسيوطي، د.ت:١/٣٩٠)، كقوله تعالى:﴿ فَأَصبحت كَٱلصَّرِيمِ﴾(القلم:٢٠)؛ لأن الليل ينصرم من النهار، والنهار ينصرم من الليل(ينظر: الجواليقي،١٣٥٠هـ:٢٥٢) فأصل المعنيين من باب واحد وهو القطع(ينظر: ابن الأنباري،١٩٦٠م:٨٤، والثعالبي،١٩٧٢م:٣٧٢، والبغوي،١٩٦٣م:١/٤٢٦) فعلى هذا تكون الدلالة قد تخصصت بالليل مرَّة وبالنهار أخرى؛ لأن كلا منهما ينقطع عن صاحبه فيصح على كلا المنقطعين أن يقال: صريم. ويرى قطرب أن مدلول اللفظة هو(المنقطع)؛ إذا يقول:" يقال: صريم الزمان، أي منقطع من معظمه، ومنه يقال: الصرمة من البيوت أي القطعة، ومنه يقال: صرمة من الإبل، ومنه يقال: صرم ما بيني وبينه أي قطعه، ومنه يقال: سيف صارم"(قطرب،١٩٣٢م:٢٦٦).

أما في التفسير فقد ذكر الطبري اختلاف أهل التأويل في معنى الصريم فقال:" إن بعضهم قال: هو الليل الأسود، وبعضهم قال: إن جنتهم أصبحت محترقة سوداء كالليل الأسود، وبعضهم قال: فأصبحت كأرض تدعى الصريم معروفة بهذا الاسم"(الطبري،١٩٧٢م:١٩/٢٩) ويكتفي الطبري بهذه الأقوال عن أهل التأويل ولا يرجع اللفظة إلى استعمالاتها في كلام العرب أو إلى أقوال أهل اللغة فيها فهو لا يرى في معنى(الصريم) سوى الليل الأسود، ولم يشر إلى معنى المضاد مطلقا. وعند أبي عبيدة أيضا أن الصريم الليل(ينظر: أبو عبيدة، د.ت:٢/٢٦٥)، أما الزمخشري فيفسر الصريم على المعنى العام وهو القطع فيقول:" فأصبحت كالصريم" أي كالمصرومة لهلاك ثمرها(ينظر: الزمخشري، د.ت:٤/١٤٤).

نرى أن معنى اللفظة عند أهل التفسير لا يحتمل وجهين، إما إلصاق التضاد بهذه اللفظة من قبل الأضداديين فهو تعسف لا مسوغ له؛ لأن أصل المعنيين من باب واحد وهو القطع كما ذكر قطرب فربَّما أطلقت قبيلة الصريم على الليل؛ لأنه انقطع عن النهار وقبيلة أخرى أطلقت اللفظة نفسها على النهار؛ لأنه انقطع عن الليل فجاء أهل اللغة ووجدوا أن هذه اللفظة تحتمل معنيين فاعتبروها من الأضداد.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

ظَنَّ: التي تكون للشكّ واليقين(ينظر: ابن الأنباريّ،١٩٦٠م:١٤، والجواليقي،١٣٥٠هـ:٢٥٢) وقد ذهب أهل اللُّغة إلى القول بضديته في مواضع عديدة في القرآن كقوله تعالى:﴿ فَظَنُّوا أَنَّهم مُّواقعوها﴾(الكهف:٥٣) أي علموا(ينظر: الفرَّاء، د.ت:٢/١٤٧)، وقوله تعالى:﴿ وظَنَّ داوود أَنَّما فتنَّاه ﴾(ص:٢٤)، أي علم(ينظر: الفرَّاء، د.ت:٢/٤٠٤)، وقوله تعالى:﴿ قال الذين يظُنُّون أَنَّهم مُّلَاقُو اللَّه﴾(البقرة:٢٤٩) أي يتيقنون(ينظر: ابن الأنباري،١٩٦٠م:٣).

إنّ ضدية الفعل جاءت من تضادّ الشكّ واليقين ولكن استقراء هذه الآيات لا تثبت الضدّية للفعل والذي جعلهم يحملون الآيات معنى التضاد شيء يتّصل بفكرة الآية لا بالفعل نفسه(ينظر: آل ياسين،١٩٧٤م:٥٣٠). فابن الأنباري مثلاً يعلل معنى اليقين في الآية الأخيرة بأنه لم يذهب وهم عاقل إلى أَنَّ الله- عزَّ وجلَّ- يمدح قوما بالشكّ في لقائه(ينظر: ابن الأنباري،١٩٦٠م:٣). أما الزمخشري فيرى في تفسيرها أنهم يعلمون أن لا بدَّ من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك(ينظر: الزمخشري، د.ت:١/٢٧٨). أما قوله تعالى:﴿ وظَنَّ داوود أَنَّما فتنَّاه ﴾(ص:٢٤) فأجرى الزمخشري الفعل(ظَنَّ) مجرى الاستعارة؛ لأنه لمَّا كان الظن الغالب يداني القلم استعير له(ينظر: الزمخشري، د.ت:٣/٣٧٠). وأيضا فعل مع الآية الكريمة:﴿ وذَا النُّونِ إِذْ ذَهب مُغاضبا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدر عَلَيْه ﴾(الأنبياء:٨٧)؛ إذ جعله من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحالَ من ظنَّ أن لن نَقدر في مراغمته قومه من غير انتظار أمر الله(ينظر: الزمخشري، د.ت:٢/٥٨١).

ونجد الطبري يؤيد أن في(ظَنَّ) معنى الشك ولكنه يبحث عن مخرج في الآية التي تعقب الفعل(أن لن نقدر عليه) فيقول على عادته في التفسير بعد أن يعدد أقوال من أخذ عنهم في تفسير معنى الآية وترجيحه أحد هذه الآراء على غيرها:" وأولى هذه الأقوالَ في تأويل ذلك عندي بالصواب قول من قال: عنى به فظنَّ يونس أن لن نحبسه ونضيِّق عليه عقوبة له على مغاضبته ربَّه"(الطبري،١٩٧٢م:١٧/٦٣). ويعلل الطبري سبب ترجيحه لهذا القول في تأويل الكلمة؛ لأنه لا يجوز أن ينسب إلى الكفر وقد اختاره لنبوته، ووصفه بأن ظنَّ أن ربَّه يعجز عما أراد به ولا يقدر عليه، ووصف له بأنه جهل قدرة الله، وذلك وصف له بالكفر، وغير جائز لأحد وصفه بذلك"(الطبري،١٩٧٢م:١٧/٦٣).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

فالتوجيه عند الطبري كان للآية(أن لن نقدر عليه) ولم يشمل الفعل(ظنَّ)؛ لأنّه كما يبدو لا يرى وجها لتغير معنى الفعل في هذه الآية. أما ابن الأنباري فيفسر الفعل(ظنَّ) في الآية تفسيرا ينسجم مع الإيمان بنبوة يونس واستحالة شكّه بقدرة الله عليه فمعنى(ظنَّ)" أراد رجا ذلك وطمع فيه، ولا يقول مسلم أن يونس تيقن أن الله لا يقدر عليه"(ابن الأنباري،١٩٦٠م :٣) فدل(ظنَّ) عنده على معنى الرجاء والطمع وهو معنى آخر غير الشك واليقين.

وذهب باحثون معاصرون إلى أن القرآن الكريم قد استعمل الفعل(ظنّ) بمعنيين متضادّين(التيقن والتوهم)، وإن هذين المعنيين مستفادان من سياق الآيات المعبرة عنهما ففي الآية مثلاً﴿ الذين يظُنُّون أَنَّهم ملاقُو ربِهم وأَنَّهم إليه راجعون﴾(البقرة:٤٦) دلَّ سياق الآية على أن الظن استعمل هنا بمعنى اليقين والعلم إذ هو دال على أنّهم ذكروا في مقام المدح لهم ولو لم يكونوا على يقين بملاقاة ربهم والرجوع إليه في اليوم الآخر لمَّا استحقوا المدح بل لاستحقوا بدل ذلك الذم(ينظر: الزيدي،١٩٨٧م:١٥٤).

فنرى أن المعاني التي ألصقت بـ(ظنّ) مستفادة من سياق الآية وفكرة النص وتغيَّر مفهومه عند أهل التفسير واللُّغويين واختلافهم في تفسير الفعل تبعا لسياق الآية الكريمة، أما الفعل بحدّ ذاته فليس فيه تضادًا في دلالته الفردية.

وذكر باحث آخر أن الضدّية التي ألصقت بهذا الفعل إنّما هي مستفادة من افتراض تعبدي عقدي، وليس من الفعل ذاته(ينظر: السامرائي،١٩٨١م:٩٨-٩٩).

عسعس: تعني أقبل وأدبر(ينظر: اللُّغوي،١٩٦٣م :٤٨٨/٢، وهفنر،١٩١٣م:٨،٩٧،١٦٧). وذلك في قوله تعالى:﴿ واللَّيل إذا عسعس﴾ (التكوير:١٧). قال أبو حاتم مناقشا الشواهد التي ذكرت لمعنى الإقبال ومعنى الإدبار:" ولا أظنُّ ها هنا معنى أكثر من الاسوداد، عسعس: أظلم وأسود في جميع ما ذكر"(هفنر،١٩١٣م:٩٨).

وفي المعجم نرى أنّ(عسعس اللّيل) إذا رقت ظلمته(ينظر: ابن عبَّاد،١٩٧٥م:٦٧/١). وفي القرآن الكريم وردت الكلمة مرَّة واحدة فقط ومعناها الإدبار لا غير.

وفي التفسير نرى أن الطبري يذكر اختلاف المتأولين في معنى(عسعس): وأنها تعني عند البعض: أدبر، وعند غيرهم: أقبل، وهو يأخذ بالمعنى المعروف للكلمة وهو الإدبار بدليل قوله تعالى: :﴿

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

والصُّبح إذَا تنفَّس ﴾ فدلَّ بذلك على أنّ القسم بالليل مدبرا وبالنهار مقبلاً(ينظر: الطبري١٩٧٢م:٣/٤٠٩). وتابعه الزمخشري في أن عسعس الليل وسعسع إذا أدبر(ينظر: الزمخشري، د.ت:٤/٢٢٤).

وفسَّر بعض الباحثين الضدّية في اللفظة في أنّ الليل يرقُّ ظلامه في أوّله وآخره أي عندما ينصرم منه النهار فيقبل، وعندما ينصرم هو من النهار فيدبر، فرقة الظلمة متحقّقة في الإقبال والإدبار، والتخصيص إنما حدث بعد ذلك(ينظر: آل ياسين،١٩٧٤م:١٤٢-١٤٣).

وهناك من أرجع اللفظة إلى أصلها الثنائي وهو(عسَّ) يعني طاف بالليل فيمكن أن تطلق اللفظة على إقبال الليل وعلى إدباره؛ لأن في كل منهما معنى الحركة(ينظر: القاسمي، ٢٠٠٢م:٢٤٤). والذي يهمنا أن معناها في الآية واحد وهو الإدبار لا غير باتّفاق أهل التفسير.

فوق: التي تكون بالمعنى المعروف للكلمة وبمعنى دون(ينظر: ابن الأنباري،١٩٦٠م، :٢٤٩). والمعنى الأخير في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّه لَا يستحيِۦ أَن يضرِب مثَلًا مَّا بعوضةً فما فوقها﴾(البقرة:٢٦). وقد عالج ابن الأنباري تضاد(فوق) بالسياق فقال ناقلاً عن قُطرب:" فوق تكون بمعنى(دون) مع الوصف، كقول العرب: هذه نملة وفوق النملة وهذا حمار وفوق الحمار"(ابن الأنباري،١٩٦٠م:٢٥٠)، وذكر أنه لا يجوز أن تكون(فوق) في هاتين المسألتين بمعنى(دون)؛ لأنه لم يتقدَّمه وصف، إنما تقدَّمته النملة والحمار وهما اسمان"، ورد قول أهل التفسير الذين ذكروا فيه أن(فوق) في الآية بمعنى دون(ينظر: ابن الأنباري،١٩٦٠م:٢٥٠-٢٥١). ويرى الفرَّاء أن المقصود بها هو فما أكبر منها وهو العنكبوت والذباب؛ إذ قال:" لو جعلت في مثله من الكلام(فما فوقها) تريد أصغر منها لجاز ذلك ولست استحسنه؛ لأن البعوضة كأنها غاية في الصغر، فأحبُّ إلي أن أجعل(ما فوقها) أكبر منها"(الفرَّاء، د.ت:١/٢٠). ورأي الطبري مشابه لرأي الفرَّاء؛ إذ قال في تفسير الآية(فما فوقها)" فما هو أعظم منها...؛ لأن البعوضة أضعف خلق الله فإذا كانت أضعف خلق الله فهي نهاية في القلّة والضعف وإذا كانت كذلك فلا شكَّ أن ما فوق أضف الأشياء لا يكون إلّا أقوى فقد يجب أن يكون المعنى فما فوقها في العظم والكبر إذ كانت البعوضة نهاية في الضعف والقلّة"(الطبري١٩٧٢م:١/١٤٠). أما الزمخشري فقد ذكر المعنيين من غير ترجيح لأحدهما على الآخر(ينظر: الزمخشري، د.ت: ١/٢٦٥).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

ويبدو أنّ الاختلاف في تفسير معنى(فوق) في الآية المذكورة آنفًا هو الذي أكسب الكلمة صفة الضدّية ولم يكن كذلك منفردا. فالنظر إلى فكرة الآية يؤدّي إلى اعتبار(فوق) مستعملة بمعناها الأصلي(ينظر: كمال،١٩٧٥م:١٢)؛ إذ يكون المقصود: ابتداء في الصغر من البعوضة وصعودا إلى ما هو أكبر منها؛ لأنّ ذكر البعوضة يشعر بنهاية الصغر، وإلا لذكرت الآية شيئًا أكبر من البعوضة كالطائر ليصح أن يكون هناك شيء أصغر منه وتكون فوق بمعنى دون(ينظر: آل ياسين١٩٧٤م:٢١٩). وإلى هذ قصد ابن الأنباري حينما ذكر أن كلام العرب يصحح بعضه بعضا ويرتبط أوّله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلّا باستيفائه واستكمال جميع حروفه(ينظر: ابن الأنباري،١٩٦٠م:٢)، وذلك أن السياق هو الذي يدل على معنى اللفظة في الآية.

المسجور: يقال للمملوء وللفارغ(ينظر: اللغوي،١٩٦٣م:١/٣٦٠، وابن الأنباري،١٩٦٠م:٥٤). كقوله تعالى:﴿ والْبحرِ الْمسجورِ﴾(الطور:٦)، أي المملوء، وقوله تعالى:﴿ وإِذَا الْبِحار سجِرتْ﴾(التكوير:٦)، أي ذهب ماؤها(ينظر: اللغوي،١٩٦٣م:١/٣٦١) أما أبو حاتم فيقصر المسجور على المملوء فقط أما الفارغ فلا يستيقنه ولا يقول في الآيتين المذكورتين آنفا؛ لأنه قرآن فيتهيَّبه(ينظر: هفنر،١٩١٣م:١٢٧).

وقد أخذ معنى مسجور أي فارغ من قول جارية من أهل مكة حكي عنها أنها قالت: إن حوضكم لمسجور وما كانت فيه قطرة. ويخرج أبو حاتم قول الجارية أنه يمكن أن يكون على سبيل التفاؤل كما يقال للعطشان: ريَّان وللديغ: سليم، أي سيروى وسيسلم وأنه لمسجور غدا أي سيكون ذلك(ينظر:هفنر:١٢٧، وابن الأنباري،١٩٦٠م:٥٦). وربَّما يشمُّ في قول الجارية معنى السخرية والاستهزاء. وقال ابن السكيت في قوله جلَّ اسمه:﴿ وإِذَا الْبِحار سجِرتْ﴾(التكوير:٦)، أي فرَّغ بعضها في بعض(هفنر،١٩١٣م:١٦٨).

أما في التفسير فإن الطبري والزمخشري يوافقان أبا حاتم في أن معنى المسجور في الآية هو المملوء(ينظر: الطبري،١٩٧٢م:١٢/٢٧، والزمخشري، د.ت:٢٢/٤) المجموع ماؤه بعضه في بعض.

وعلل الطبري سبب اختياره لهذا المعنى بأن الأغلب من معاني السجر الإيقاد كما يقال سجرت التنور بمعنى أوقدت أو الامتلاء على ما وصفت، فإذا كان ذلك الأغلب من معاني السجر وكان

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

البحر غير موقد اليوم وكان الله تعالى ذكره قد وصفه بأنه مسجور فبطل عنه إحدى الصفتين وهو الإيقاد صحَّت الصفة الأخرى التي هي له اليوم وهو الامتلاء؛ لأنه كل وقت ممتلئ(ينظر: الطبري،١٩٧٢م:١٢/٢٧).

فالطبري يفسر معنى السجر على أنه قد يكون الإيقاد أو الامتلاء. والإيقاد فيه معنى الامتلاء أيضا؛ لأنه لا يمكن أن يسجر من غير أن يكون مملوءا بالحطب والنار.

النِّد: معناه المثل والضد(ينظر: ابن الأنباري،١٩٦٠م:٢٣-٢٤). وقد حاول ابن الأنباري تفسير(أندادا) في القرآن الكريم على المعنيين. أما أبو الطيب اللغوي فقد خالفه في نسبة الضدية للفظة وذكر أن العرب قد أجمعت على أن ندَّ الشيء مثله وشبهه وعدله، ولا أعلمهم اختلفوا في ذلك(ينظر: اللغوي،١٩٦٣م:٢/٦٥١)، أي أنه ينكر قول من جعله بمعنى الضد ولم يوافقه الرأي.

والتقى الطبري في تفسيره للأنداد في قوله تعالى:﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(البقرة:٢٢) مع أبي الطيب اللغوي في أن الأنداد جمع ند والند العدل والمثل وكل شيء كان نظيرا لشيء وشبيها له فهو ندٌّ له(ينظر: الطبري،١٩٧٢م:١/١٢٦-١٢٧)، ولم يذكر المعنى المضاد له وكأنَّه لم يسمع عن العرب شيئا كهذا. وقد ألصق ابن الأنباري معنى الضدية باللفظة في تفسيره للآيات القرآنية، ونظن أن فيه من التعسف والتكلف ما لا يخفى؛ لأنها لا تحتمل إلا معنى واحدا. قال تعالى:﴿ ومن النَّاسِ من يتَّخذُ من دونِ اللَّهِ أَندادًا يحبُّونهم كحبِّ اللَّهِ ﴾(البقرة:١٦٥).

هجد: تعني نام وسهر(ينظر: قطرب،١٩٣٢م:٢٦٩، واللغوي،١٩٦٣م:٢/٦٧٨). وقد فرَّق الأصمعي بين المعنيين فأكثر ما يقال في النائم هاجد وأكثر ما يقال في المستيقظ متهجد(ينظر: هفنر،١٩١٣م:٤٠). وفي القرآن الكريم ﴿ ومن ٱلَّيل فتهجَّد بهۦ نافلةً لَّك ﴾(الأسراء:٧٩)، وفي التفسير نرى أن الطبري والزمخشري وأبا عبيدة يفرقون بين التهجد والهجود، فالتهجد التيقظ أو ترك الهجود الذي هو النوم للصلاة(ينظر: الطبري،١٩٧٢م:١٥/٩٥، والزمخشري، د.ت:٢/٤٦٢، وأبو عبيدة، د.ت:١/٣٨٩). وفي هذا يوافقون ما قاله الأصمعي في التفريق بين المعنيين. وقد ذكر الجواليقي أن الهاجد قد يكون المصلي بالليل وقد يكون النائم؛ لأنه وقت يقع فيه الانتباه والنوم(ينظر: الجواليقي،١٣٥٠م:٢٥٢).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

إنّ الآية الكريمة لا تحتمل إلّا معنى واحداً وهو السهر والتيقظ غير أنّ قول أهل اللُغة أنّ اللفظة من الأضداد جاء لورود شاهد في اللُغة وهو قول المرقش(ابن الأنباري،١٩٦٠م:٥٠):

سرى ليلاً خيال سليمى فأرَّقني وأصحابي هجود

فمعنى هجود في بيته هذا ينام.

ويبدو أن لا خلاف في هذا بين ما ذكره الطبري وبين معنى اللفظة في بيت المرقش وهو النوم لا غير، وأن لفظة(التهجد) نفسها لا تدل على النوم والسهر وإنما اشتقاقات اللفظة تحملت هذا النوع من الاختلاف في المعنى.

ويرى بعض الباحثين أن وقوع هذا التضاد في اللفظة ناشئ من الأخطاء التي يمكن أن تنسب إلى الأجيال الناشئة فقد كان للفظة معنى واحد ولكن لقلّة شيوعها فهمت في بيئة من البيئات على معنى آخر، ونما هذا الفهم وذاع في الجيل الناشئ ثُمَّ أصبح معترفاً به في اللُغة النموذجية الأدبية فاستعمل القرآن الكريم هذه اللفظة بمعنى واستعملها المرقش بمعنى مضاد للمعنى الأصلي، وقد تمَّ مثل هذا التطور في عصر ما قبل الإسلام قبل نشأة اللُغة النموذجية وازدهارها (ينظر: أنيس،١٩٦٥م:٢٠٨).

وراء: قالوا: إنَّها تأتي بمعنى خلف وأمام(ينظر: ابن الأنباري،١٩٦٠م:٦٨، واللُغوي ،١٩٦٣م:٦٥٧/٢). فالأول هو المعنى المعروف. أما الثاني فقد جاء في قوله تعالى:﴿ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ ﴾(إبراهيم:١٦)، وقوله: ﴿ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾(الإنسان:٢٧)، وقوله:﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ ﴾(الكهف:٧٩). فـ(وراء) فسَّرها أبو عبيدة في مجازه بمعنى أمام أو قدَّام في هذه الآيات جميعاً(ينظر: أبو عبيدة، د.ت :٣٣٧/١، ٢٨٠/٢).

أما الفرَّاء فلم يقل في الآية﴿ من ورائه جهنَّم ﴾ أنّها بمعنى أمام وإنّما قال:" من ورائه جهنم: أي بين يديه"(معاني القرآن: الفرَّاء، د.ت:١٥٧/٢). وهذا المعنى للوراء(بين يدي) مشروط عند الفراء في المواقيت من الأيام والليالي والدهر؛ إذ يقول:" ولا يجوز أن تقول لرجل وراءك هو بين يديك ولا لرجل بين يديك: هو وراءك، إنما يجوز ذلك في المواقيت من الأيام والدهر أن تقول: وراءك برد شديد وبين يديك برد شديد؛ لأنك أنت وراءه، فجاز لأنه شيء يأتي فكأنه إذا لحقك صار وراءك، وكأنك إذا بلغته صار بين يديك فلذلك جاز الوجهان"(الفرَّاء، د.ت:١٥٧/٢).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

أما الطبري فقد أشار في تفسيره للآية الكريمة﴿ وكان وراءهم ملك ﴾ إلى أقوال أهل المعرفة بكلام العرب بضدية اللفظة، ولكنه يرجح قول الفراء في أن معنى وراء(بين يدي)؛ لأنه إنما قيل لما بين يديه هو ورائي؛ لأنك من ورائه فأنت ملاقيه كما هو ملاقيك فصار إذ كان ملاقيك كأنه من ورائك وأنت أمامه(ينظر: الطبري،١٩٧٢م:٢/١٦). وقد أنكر بعض أهل اللغة ضدية(وراء) كالزجَّاج؛ إذ قال:" وراءهم: خلفهم، هذا أجود الوجهين، ويجوز أن يكون ... معناه: كان قدَّامهم، وهذا جائز في العربية؛ لأنه ما بين يديك وما قدَّامك إذ توارى عنك فقد صار وراءك"(الزَّجَّاج،٢٠٠٤م:٣/٢٤٩) أي ما استتر عنك، وليس من الأضداد. فقد أرجع الزجَّاج المعنيين المتضادين إلى المعنى اللغوي للفظة وهو يصدق للأمام والخلف.

فالاستعمال القرآني إذن بناء على التفسير اللغوي الأخير جارٍ على المعاني الأصلية للفظة وليس فيها معنى التضاد، وقد ذهب بعض المعاصرين إلى أن معنى(وراء) في الآيات القرآنية التي قيل: إنها بمعنى أمام هو الخلف أيضا؛ لأنه حين يقول:(من ورائه جهنم) فهو يعني أنه بعد انقضاء حياته ووقوع الموت ثُمَّ الحساب يكون جزاؤه جهنم، فهي(خلف) هذه الأمور في التسلسل وكذلك(وراءهم يوما ثقيلا)، أي يعقب أيامهم هذا يوم ثقيل فهو خلفها أيضا، ومثلها(وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا)، أي يتبعهم ويقتفي أثرهم فهو خلفهم(ينظر: آل ياسين،١٩٨٧م:٥٣٣).

الخاتمة:

من دراسة ما تقدم يتضح بجلاء أن كثيرا من ألفاظ التضاد في القرآن الكريم يمكن تأويله على وجه آخر يخرجه من باب التضاد، وأنه ليس هناك تفسير واحد في القرآن يصدق على الأضداد جميعا. فقد يكون سبب اعتبار أهل اللغة بعض الألفاظ في القرآن من التضاد اختلاف القراءات، أو اختلاف اللهجات، أو أن يكون سياق الآية أو دلالتها متعارضا مع المعنى المعروف للفظة وتتفق مع مضادها فيذكره أهل اللغة ليتناسب مع مضمون الآية، أو أن اشتقاقات اللفظة قد تؤدي إلى معانٍ مضادة.

وقصارى القول نلاحظ أن أهل التفسير غالبا ما يذكرون المعنى المعروف للفظة ويفسرون الآية على ضوء هذا المعنى ونادرا ما يلجأون إلى ذكر معناها المضاد الذي تأوله المتأولون من أهل اللغة تعسفا واعتبروا هذه الألفاظ من الأضداد.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

المصادر والمراجع :

١. القرآن الكريم.
٢. الأضداد: ابن الأنباري(ت٣٢٨هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، ١٩٦٠م.
٣. الأضداد في كلام العرب: أبو الطيب اللغوي(ت٣٥١هـ) ، تحقيق: عزة حسن، دمشق، ١٩٦٣م.
٤. الأضداد في اللغة: محمد حسين آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد،١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
٥. أضداد قطرب(ت٢٠٦هـ): نشره كوفلر في مجلIsLmlca ، المجلد٥، ليبزج، ١٩٣٢م.
٦. تاريخ بغداد: الخطيب القزويني، دار الكتاب العربي، بيروت.
٧. التبيان في تفسير القرآن: الطوسي، تحقيق: أحمد حبيب قصير، مكتبة الأمين، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٨م.
٨. التضاد في اللغات السامية: د. ربحي كمال، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٥م.
٩. التطور اللغوي التاريخي: د. إبراهيم السامرائي، دار الأندلس، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.
١٠. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب : الفخر الرازي(ت٦٠٦ هـ)، دار الكتب العلمية، طهران، ط٢.
١١. التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، ط٢، ١٩٧٦م.
١٢. ثلاثة كتب في الأضداد. للأصمعي(ت٢١٦هـ) والسجستاني(ت٢٥٥) وابن السكيت(ت٢٤٤هـ)، تحقيق: أوغست هفنر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩١٣م.
١٣. جامع البيان في تفسير القرآن: الطبري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٧٢م.
١٤. دائرة المعارف الإسلامية، دار انتشارات جهان، طهران، بودر جمهري.
١٥. دراسات في فقه اللغة: د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٧٣م.
١٦. الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث: محمد حسين آل ياسين، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط١٠، ١٩٨٠م.
١٧. دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، ترجمة: د. كمال محمد بشر، القاهرة، ١٩٧٥م.
١٨. ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: د. م. محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية.
١٩. السبعة في القراءات: ابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢.
٢٠. شرح أدب الكاتب: أبو منصور الجواليقي، عن نسخة دار الكتب المصرية، نشر مكتبة القدس،القاهرة،١٣٥٠هـ.
٢١. الصاحبي في فقه اللغة: أحمد بن فارس، نشر المكتبة السلفية، مطبعة المؤيد، القاهرة، ١٩١٠م.
٢٢. العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، تصحيح: أسعد الطيب، مطبعة باقري، قم، ١٤١٤هـ.
٢٣. فقه اللغة العربية: د. كاصد ياسر الزيدي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ١٩٨٧م.

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الخامس عشر
٢٠٢٣م/١٤٤٤هـ

٢٤. فقه اللغة وسرّ العربيّة: الثعالبي، تحقيق: مصفى السقا وجماعته، مطعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٧٢م.
٢٥. الفهرست: ابن خير الأشبيلي، تحقيق: زيد بن وطرغوه، مكتبة المثنى، ١٣٨٢هـ،-١٩١٧م.
٢٦. في اللهجات العربية: د. إبراهيم أنيس، ط٣، ١٩٦٥م.
٢٧. الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م.
٢٨. الكشّاف: الزمخشري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
٢٩. لسان العرب: ابن منظور، طبعة بولاق، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٣٠. مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
٣١. مجالس ثعلب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٤٨م.
٣٢. مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٣. المحيط في اللغة: الصاحب بن إسماعيل بن عبَّاد، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٥م.
٣٤. المخصص: ابن سيده، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت(أوفسيت).
٣٥. المزهر: السيوطي(ت٩١١ هـ)، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاري، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.
٣٦. معاني القرآن: الفرّاء(ت٢٠٧ هـ)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجّار، عالم الكتب، بيروت.
٣٧. معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق إبراهيم الزَّجَّاج(ت٣١١هـ)، تحقيق: د. عبد الجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة ،٢٠٠٤م.
٣٨. معجم الأدباء: ياقوت الحموي، دار المستشرق، بيروت(أوفسيت).
٣٩. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٠. المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق: د.علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٢م.
٤١. النشر في القراءات العشر: ابن الجزري(ت٨٣٣ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٢. نصوص في فقه اللغة العربية: د. السيد يعقوب بكر، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١م.